إيسيسكو
ICESCO

مجلة الإيسيسكو للغة العربية

دوريّة علميّة محكّمة تُصدرها

منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة

المجلد الأول - العدد الأول
ذو الحجة 1445 / يونيو 2024

منشورات منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة
(إيسيسكو)

شارع الجيش الملكي، حي الرياض، ص. ب. 2275 ، ر. ب. 10104، الرباط، المملكة المغربية

المجلد الأول - العدد الأول
ذو الحجة 1445 / يونيو 2024

© إيسيسكو
جميع حقوق إعادة الإنتاج والترجمة والاقتباس محفوظة

الرقم الدولي الموحد للدوريات الورقية (ISSN): 3007-5726
الرقم الدولي الموحد للدوريات الإلكترونية (E-ISSN): 3007-5734

التصميم والطباعة في الإيسيسكو

+212537566052 | www.icesco.org | contact@icesco.org

إدارة التحرير

المشرف العام

د. سالم بن محمد المالك
المدير العامُّ لمنظَّمة العالم الإسلاميّ
للتَّربية والعلوم والثَّقافة (إيسيسكو)

رئيس التَّحرير

أ.د. مجدي حاج إبراهيم
رئيس مركز الإيسيسكو للُّغة العربيَّة
للنَّاطقين بغيرها

مدير التَّحرير

أ.م.د. أدهم محمد علي حموية
خبير في مركز الإيسيسكو للُّغة العربيَّة
للنَّاطقين بغيرها

الهيئة الاستشارية

- **أ.د. أحمد المتوكل**
  المملكة المغربية
- **أ.د. رمزي البعلبكي**
  الجمهورية اللبنانية
- **أ.د. سعد مصلوح**
  جمهورية مصر العربية
- **أ.د. عبد السلام المسدي**
  الجمهورية التونسية
- **أ.د. عبد العزيز الحربي**
  المملكة العربية السعودية
- **أ.د. محمد حسين آل ياسين**
  جمهورية العراق
- **أ.د. محمد عدنان البخيت**
  المملكة الأردنية الهاشمية
- **أ.د. مسعود صحراوي**
  الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
- **أ.د. وليد القصاب**
  الجمهورية العربية السورية
- **أ.د. أون يون كيونغ (نبيلة)**
  جمهورية كوريا
- **أ.د. رحمة أحمد الحاج عثمان**
  ماليزيا
- **أ.د. محمد طالب الحوري**
  الولايات المتحدة الأمريكية
- **أ.د. نيكولاس روزر نبوت**
  مملكة إسبانيا

"مجلّة الإيسيسكو للُّغة العربيَّة" دوريَّةٌ علميَّةٌ محكَّمةٌ للبحوث في اللُّغة العربيَّة وآدابها وعلومها، تُصدرها منظمَّة العالم الإسلاميّ للتَّربية والعلوم والثَّقافة (إيسيسكو)، في شهري يونيو وديسمبر (حزيران وكانون الأوَّل) من كلِّ عامٍ، ويشتمل نطاقُها على محورين لبحوث اللُّغة العربيَّة وآدابها وعلومها:

- المحور النَّظري، ويضمُّ البحوث اللِّسانيَّة والأدبيَّة والنَّقديَّة.
- المحور التَّطبيقي، ويضمُّ البحوث التَّعليميَّة والتَّرجميَّة والحوسبيَّة.

لا تمثِّل آراء الكتَّاب بالضرورة توجُّهات منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)

مراسلة المجلة

مركز اللغة العربية للناطقين بغيرها

منظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة

(إيسيسكو)

شارع الجيش الملكي، حي الرياض، ص.ب. 2275، ر.ب. 10104

الرباط، المملكة المغربية

www.ijal.icesco.org || ijal@icesco.org

ضوابط النشر

- أن يتَّسم البحث بالجدَّة والموضوعيَّة والرَّصانة العلميَّة.
- ألَّا يكون البحث منشورًا أو مقدَّمًا للنشر في أيِّ وعاءٍ علميٍّ آخر.
- ألا تتجاوز نسبة الاقتباس في البحث 30٪ (مع استثناء المصادر والمراجع).
- أن يكون عدد كلمات البحث ما بين 5000-7000 كلمة؛ إضافة إلى ملخص للبحث كلماتُه ما بين 200-300 كلمة، وترجمته إلى الإنجليزية.
- أن يكون التوثيق بطريقة الحواشي في كل صفحة، وتُدرج أرقامها بعد علامات الترقيم في المتن، والترقيم جديد لكل صفحة.
- أن يكون التوثيق وفق نظام شيكاغو Chicago.
- أن تُضاف قائمة للمصادر والمراجع مكتوبة بالحروف اللاتينية.
- أن تُرسل البحوث من خلال إنشاء حساب في موقع المجلة (ijal.icesco.org).

السِّهام الطَّائشة: نَقْدُ سرديَّة صعوبةِ العربيَّة وتعقُّدِ أنظمَتِها

خالد فهمي 7

أثَرُ المسألة النَّحويَّة في التَّفكير اللُّغويّ العربيّ

سمير أحمد معلوف 31

الحسُّ القوميُّ في الأدب الفكريّ العربيّ الحديث: "طبائع الاستبداد" للكواكبيّ و"يقظة الأمَّة العربيَّة" للعازوريّ مثالان

فؤاد عبد المطلب 61

المعنى في الخطّ العربيّ

إدهام محمد حنش 105

قراءةٌ في النَّظريَّات التَّداوليَّة وقواعدِ الخِطاب

وردة البرطيع 129

اللِّسانيَّات وأثرُها في مُعالَجة موضوع "تعليم اللُّغة للنَّاطقين بغيرِها": قضايا نظريَّةٌ ونماذجُ تطبيقيَّةٌ في "نظريَّة أخطاء التَّعلُّم"

عبد الرحمن بودرع 157

نَحْوَ مُقارَبةٍ تخاطبيَّةٍ في دراسةِ الصَّرف وتدريسِهِ لوارثي اللُّغة العربيَّة

محمد محمد يونس علي 189

نَحْوَ نَحْوٍ عربيٍّ وظيفيٍّ للنَّاطقين بلُغاتٍ أُخرى في ضوءِ الإطار المرجعيّ الأُوروبيّ المشترَك لتعليم اللُّغات

عرفان عبد الدايم 223

تحدِّيات تدريس اللُّغة العربيَّة لغير النَّاطقين بها في الجامعات الكنديَّة

عقيلة صخري 267

التَّرجمة الآليَّة وأُنموذج التَّرجمة إلى العربيَّة: المشهد الرَّاهن

صونيا أسمهان حليمي 295

© إيسيسكو ICESCO 2024

2024 - (1)1
Received استُلم
2024-3-30
Accepted قُبل
2024-5-7

أثَرُ المسألة النَّحويَّة في التَّفكير اللُّغويِّ العربيِّ

سمير أحمد معلوف*

مُلخَّص

يحتاج التراث العربي الإسلامي إلى النظر فيه مرةً بعد أُخرى لاستنباط ما احتواه من فِكَرٍ تُسهم مراجعتها في فهم طبيعة التفكير اللغوي العربي، والبنية العقلية التي أنتجته، والثقافة التي أثَّرت فيه، لِيَصل إلينا بالصورة التي نراها، ونعتقد أن دراسة "المسألة النحوية" في نشأتها وتطوُّرها يمكن أن يوضِّح لنا طبيعة التفكير اللغوي العربي، وذلك أن هذا الفكر نشأ في بيئة التعليم، وتطوَّر فيها أيضًا، وهذا جَعَلَ من مسائل اللغة بعامة، ومسائل النحو بخاصة؛ المؤثِّر الأكبر في نشأة علوم اللغة وتفرُّعها، وقد تتبَّعنا جذور المسألة النحوية، ونشأتها على أيدي كُلٍّ من ابن عباس وأبي الأسود، ثم تطوُّرها على أيدي تلامذة الأخير، ولا سيما ابن أبي إسحق وأبي عمرو بن العلاء، إلى حين اكتمالها على أيدي كُلٍّ من الفراهيدي وتلميذه سيبويه، وأتممنا البحث باستعراض أصول المسألة النحوية ومنهجية معالجتها كما استقرَّت في كتاب سيبويه.

الكلمات الرئيسة: النحو العربي، التراث النحوي، المسألة النحوية، التفكير اللغوي، الصورة الكلامية

* أستاذ علم المعاني، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البعث، الجمهورية العربية السورية، dr.samirmalouf49@gmail.com.

© إيسيسكو ICESCO 2024

ICESCO Journal of Arabic Language
ISSN: 3007-5726 | E-ISSN: 3007-5734

Impact of the Grammatical Question on Arabic Linguistic Thinking

Samir Ahmad Malouf*

Abstract

The Arab-Islamic heritage is an ever-ending treasure trove, which needs to be revisited time and times again in order to further understand the nature of Arabic linguistic thinking as it exists today, reflecting on its linguistic, cognitive and cultural aspects. The study of the development of Arabic grammatical question can clarify the nature of Arabic linguistic thinking, as it originated and developed in the educational environment. This made language questions in general, and questions issues in particular, the major influence in the emergence and evolution of language sciences. Thus, we traced the origins of the grammatical question, from its inception at the hands of Ibn ‘Abbās and Abu al-Aswad, to its development by the latter’s disciples, especially Ibn Abī Isḥaq and Abu ‘Amr bin al-‘Alā’, until it was completed by al-Farāhīdī and his student Sibawayh. The study concludes with a review of the origins of the grammatical question and the methodology of addressing it as it was established in Sibawayh’s book.

Keywords: *Arabic grammar, grammar heritage, grammar, linguistic thinking, verbal image*

* Professor of Semantics, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Humanities, Al-Baath University, Syrian Arab Republic, dr.samirmalouf49@gmail.com.

© إيسيسكو ICESCO 2024

مدخل

يُعدُّ البحثُ في أُصول التفكير اللغوي عند العرب جانبًا مهمًّا من جوانب البحث في الثقافة العربيَّة، ولا سيَّما أن أساس هذه الثقافة كان اللغةَ بخطاباتها ونصوصها المتعدِّدة الأجناس من شعرٍ وخطابةٍ وأخبارٍ وقرآنٍ كريم وحديثٍ نبويٍّ شريف، ولا جَرَمَ أن دراسة التفكير اللغوي العربي والبحث عن طبيعته وأُصوله المعرفية عملٌ ضروريٌّ من أجل الكشف عن منهجية الدرس اللغوي العربي، والقواعد التي بُنيت عليها دراسة اللغة على مرِّ العصور، حتى تكوَّن لدينا هذا التراث المدهش الذي انتقل إلينا، ومن واجبنا فَهْمُ طبيعته وطريقة عملِه من أجل البناء عليه واستمراره.

ودارسُ أُصُول هذا التفكير يجد نفسه أمام تُراثٍ كبيرٍ من الدراسات التي قدَّمها لنا علماءُ العربيَّة القدامى والمتأخِّرون، ويحتاج هذا التراث إلى النظر فيه مرةً بعد أُخرى لاستنباط ما احتواه من فِكَرٍ تُسهم مراجعتها في فهم طبيعة التفكير اللغوي العربي، والبنية العقلية التي أنتجته، والثقافة التي أثَّرت فيه، لِيَصل إلينا بالصورة التي نراها، ولا رَيْبَ في أن دراسة هذا التفكير تُسهم في فَهْمِ التبادُل التأثيري بين المرجعيات الطبيعية والاجتماعية واللغة العربية.

ويتطلَّبُ البحث في هذه الموضوعات سلوكَ مسلكين للوصول إلى نتائجَ نتوخَّاها من هذه الدراسة؛ يتَّصف المسلك الأول بأنه مسلك ذو طبيعةٍ تأريخيةٍ، لأنه يهتمُّ بدراسة نشأة علوم اللغة وتطوُّرها، وهي النشأة التي يمكن أن تبَيِّن كثيرًا من الجوانب في الثقافة العربية وبنية العقل العربي، أما المسلك الثاني فيتَّخذ من مناهج البحث في اللغة – المستنِدة إلى الثقافة العربية التي أنتجها العرب قبل الإسلام والثقافة التي اكتسبوها من الإسلام – أداةً لإظهار بنية التفكير اللغوي الداخلية، واكتشاف طبيعة العقل الذي أنتج دراسات لغوية يمكن التعويل عليها في جهود الإنسان في البحث عن المعنى.

ويُظهر البحث وفق هذين المسلكين تَفرُّد النَّسق الثقافي العربي، وقدرة الباحثين اللغويين القدامى على تأسيس منهجهم اللغوي الذي يدرس اللغة ببنيتها الداخلية، وفق طرائق تتَّسقُ وطبيعةَ اللغة المدروسة، والخروج من هذه الدراسات المنهجيَّة بالقواعد الكليَّة

© إيسيسكو ICESCO 2024

التي يتهدَّى بها العقل للتعبير باللغة، وقد نشأ هذا المنهج وتطوَّر تراكميًّا، وبالتّوازي مع تطوُّر العلوم التي لها صلة بالقرآن الكريم والعقيدة الإسلامية، كعلوم الكلام والفقه وأُصوله، وكان التأثُّر والتأثير متبادلاً بين علوم اللغة وهذه العلوم المتَّصلة بالدين الإسلامي.

جذور المسألة النحوية

لا رَيْبَ في أن من الصعوبة بمكانٍ دراسةَ نشأة علوم العربية في المرحلة التي سبقت الإسلام، وفي المرحلة الإسلامية الأولى، غيْرَ أننا نستطيع أن نأخذ بنتائج الدراسات التي أرَّخت لهاتين المرحلتين، وصوَّرت لنا ملامح من البيئتين الاجتماعية والثقافية في الجزيرة العربية وما جاوَرَها، لأن ذلك يمكن أن يبيِّن لنا جوانب مهمَّة من التاريخ الثقافي آنذاك، وهو ما يوضِّح بعض ملامح تاريخ العلوم اللغوية العربية.

ونعتقد أن دراسة "المسألة النحوية" في نشأتها وتطوُّرها، يمكن أن توضِّح لنا طبيعة التفكير اللغوي العربي، وذلك أن هذا الفكر نشأ في بيئة التعليم، وتطوَّر فيها أيضًا، وهذا جَعَلَ من مسائل اللغة بعامة، ومسائل النحو بخاصة؛ المؤثِّر الأكبر في نشأة علوم اللغة وتفرُّعها.

وقد كان للقرآن الكريم المكانةُ الكبرى في اتِّجاه أهل اللغة إلى التأمُّل والبحث في ألفاظ اللغة وتراكيبها للوصول إلى بنياتها الداخلية، والانتقال بدرسهم اللغوي من المسائل القائمة على الصحة والخطأ ومتابعة متكلمي اللغة من فصحاء العرب للقياس على كلامهم، إلى اكتشاف طبيعة اللغة وطرائق التفكير باللغة عند أهلها.

وهكذا تحوَّل الدرس اللغوي من مسائل اللغة إلى فلسفة اللغة، فكانت البداية عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)، وانتقلت بعد ذلك إلى ابن جني (ت392هـ)، لتخطو الدراسات اللغوية خطوات أكبر، فيتَّجه كثير من دارسي النحو بخاصة إلى تأمُّل الجوانب الجمالية في اللغة العربية، ومن ثم برزت دراسات النحاة البلاغيين، من مِثْلِ عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، وجار الله الزمخشري (ت538هـ)، لتؤسِّس لنوع من البحث يستثمر ما وصل إليه السابقون في دراساتهم التركيبَ العربيَّ ودلالاتِهِ المختلفة التي يستظهرها

© إيسيسكو ICESCO 2024

الباحث من كلام أهل اللغة ونصوص اللغة المختلفة نثرًا أو شعرًا، وهذا الباب من الدرس اللغوي هو ما يمكن أن نطلق عليه اسم "الدراسات الأسلوبية"، وهي دراسات قاعدتها الدراسات النحوية.

ولتَضِحَ صورة العمل أكثر، لا بُدَّ لنا من البدء بمصطلح "المسألة النحوية" لفَهْمِ دلالاته اللغوية والاصطلاحية.

فالمسألة في اللغة من (سأل)، السين والهمزة واللام كلمة واحدة، يُقال: سَأَلَ يَسْأَلُ سُؤَالاً ومَسْأَلَةً، ورَجُلٌ سُؤَلَةٌ، كثيرُ السُّؤَال،[1] ومَسْأَلَةُ كَذا، وعن كذا، وبكذا،[2] أي سُؤالاً، وسَآلَةً، وتَسْآلاً، وسَأَلَةً، والأمر: سَلْ، ويُقال: سَالَ يَسالُ، كخَافَ يَخافُ، وهما يَتَساولان، والسُّؤَالُ والسُّؤْلَةُ – ويُتْرَكُ هَمْزُهُما – ما سَأَلْتَهُ، وكهُمَزَةٍ، الكثير السُّؤَال، وأسْأَلَه سُؤْلَه ومَسْأَلَته، قضى حاجَتَه، وتَساءَلوا، أي سَأَلَ بَعْضُهم بَعضًا،[3] و"تعني المسألة في اللغة السُّؤال أو المسؤول أو مكان السُّؤال"،[4] فالمسألة مصدر بمعنى السؤال، و"قد يحلُّ المصدر مجازًا محلَّ المفعول، تقول: تعلَّمت مسألةً ومسائلَ؛ استُعيرَ المصدرُ للمفعول، قاله الزمخشري".[5]

وللمسألة دلالاتٌ أُخَرُ في الاصطلاح والعرف، فهي قضيةٌ نظريةٌ في الأغلب تتألَّف منها حُجَّتها، وهي مبانيها التصديقية، وقد تكون ضروريةً مُحتاجَةً إلى تنبيه، وأما ما لا خَفَاءَ فيه فليس من المسألة في شيء، والمراد القضية الكلِّية التي تشتمل بالقوة على أحكام تتعلَّق بجزئيات موضوعها.[6]

وتختلف القضية النظرية باختلاف الاعتبارات، فهي التي يُسأل عنها، ويُطلب بالدليل إثباتها في العلم، ولذلك فهي من حيث يُسأل عنها تُسمَّى "مسألة"، وهي من حيث يُطلب

---

[1] انظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: د.ن، 1969)، مادة (سأل).

[2] (بكذا) أي (عن كذا)، انظر: ابن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، د.ت)، مادة (سأل).

[3] انظر: الفيروز آبادي، **القاموس المحيط** (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1952)، مادة (سأل).

[4] الكفوي، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري (دمشق: وزارة الثقافة، ط2، د.ت)، ج4: ص277.

[5] الزبيدي، **تاج العروس**، تحقيق: أحمد عبد الستار فراج (الكويت: وزارة الإعلام، ط2، 1965)، مادة (سأل).

[6] انظر: الكفوي، **الكليات**، ج4: ص277.

© إيسيسكو ICESCO 2024

حصولها تُسمَّى "مطلبًا"، ومن حيث يُبنى عليها الشَّيء تُسمَّى "أُصولاً"، ومن حيث تتألَّف منها الحُجَّة تُسمَّى "مُقدِّمةً" و"قضيَّةً"، ومن حيث تحتمل الصدق والكذب تُسمَّى "خبرًا".[1]

وقد اعتاد دارسو تاريخ الدراسات اللغوية العربية – ولا سيَّما النحو العربي – إرجاع نشأة هذه الدراسات إلى جهود عدد من علماء الأُمَّة، وعلى رأسهم أبو الأسود الدُّؤلي ظالم بن عمرو (ت69هـ)، وهو من كبار التَّابعين وفقهائهم، ويعدُّه مَنْ تَرْجَمَ له أوَّلَ مَنْ تكلَّم في النحو،[2] وقالوا عنه إنه أوَّلُ مَنْ أسَّس العربية، ونَهَجَ سُبُلَها، ووَضَعَ قياسَها، وهو أوَّلُ مَنْ نَقَّطَ المصحَفَ،[3] وقد ارتبطت هذه النشأة بظهور اللحن،[4] وخشية الغيارى من صحابة رسول الله ﷺ من أن يؤدِّي ذلك إلى التأثير على فهم القرآن الكريم وصحَّة تلاوته، ولا رَيْبَ في أن في هذه الروايات ما يُظهرُ دافعًا قويًّا لتقعيد اللغة، وضَبْطِ دراستها، وتوجيه الجهود للوقوف في وَجْهِ اللحن فيها، ولهذه المسألة روايات عدة، لكنها تتَّفق في معظمها على أن أبا الأسود الدُّؤلي كان مَنْ أُنيطت به جهود وَضْعِ النَّحو،[5] ومن البيِّن أن بعض تلك الروايات تشتمل على كثير من السذاجة، لأن مسألة وَضْعِ النحو أعمقُ ممَّا ذكرته الروايات وأشدُّ

---

[1] انظر: المصدر السابق، ج4: ص37.

[2] انظر: الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط7، 1998)، ج1: ص324؛ الحموي، **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)** (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج1: ص1465.

[3] انظر: الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1965)، ص71. وذهب ابن فارس إلى أن علم العربية كان قبل أبي الأسود الذي جدَّده، انظر: السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، محمد أبي الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط4، د.ت)، ج2: ص345، وهذا ما تؤكده قصَّته مع الإمام علي كرَّم الله وجهه.

[4] مسألة اللحن واسعةٌ، وفيها أخبارٌ كثيرة، منها أن اللحن ليس طارئًا، بل كان أيام رسول الله ﷺ، انظر: ابن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط1، 1952)، ج2: ص8، ولكن اللحن فشا في الأمصار بعد الفتوح، وبخاصة في الحضر، انظر: السيوطي، **المزهر**، ج2: ص396-397.

[5] قدَّم د. محمد خير الحلواني دراسة مفصلة لموضوع وضع النحو وأسبابه، وريادة أبي الأسود في هذا المجال، والخلاف في من وجَّهه إلى ذلك، انظر بيان ذلك في: **المفصَّل في تاريخ النحو قبل سيبويه** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1979)، ص27-34.

© إيسيسكو ICESCO 2024

تعقيدًا، من غير أن ننفي اتّجاه القوم إلى هذا بدافع الحرص على لغة القرآن، وإقدار المسلمين العرب وغيرهم على فهمه.

ولعلَّ ما ذَكَرَهُ ابن خلدون (ت808هـ) عن مسألة ارتباط وَضْعِ القواعد باللحن، كان أكثر منهجيَّة وعلميَّة من كثير من الروايات التي تربط بينهما بحوادثَ وأخبارٍ غير مُقنِعَة،[1] وما ذَكَرَهُ ابن خلدون لا يختلف عمَّا ذَهَبَ إليه كارل بروكلمان من أن نشأة عِلْمِ اللغات ناتجٌ عن وجود تبايُنٍ بين لغتين أو مرتبتين من لغةٍ واحدةٍ – من مِثْلِ لهجة العامَّة، ولهجةِ الأوائل في كُتُبِ الدين – يبعثُ الداعيَ إلى البحوث والأنظار اللغوية.[2]

ومن جانب آخر أرْجَعَ كثيرٌ من الدارسين نشأةَ الدراسات اللغوية إلى جهود عبد الله بن عباس (ت68هـ) ابن عمِّ رسول الله ﷺ، وكان يُسمَّى "البحرَ"، لِسَعَةِ عِلْمِهِ، ويُسمَّى "حَبْرَ الأُمَّةِ".[3]

وقد أخَذَ عن هذين العَلَمين تلامذة كثيرون، أذاعوا ما حصَّلوه من علوم العربية بين الناس، ومهَّدوا للتطوُّر في الدراسات اللغوية العربية.

وإذا لم يكن لنا أن نتجاوز مسألة ظهور اللحن في المجتمع العربي الإسلامي، وأنه ظاهرة ألجأت كبار الصحابة إلى البحث عن وسيلة لوقف انتشاره، فإننا لا نُغْفِلُ أسبابًا أُخْرَى كانت وراء ظهور الدَّرس اللغوي المنهجي، وبدء العمل العلمي لاستنباط طبيعة اللغة وفهمِها.

---

[1] أرجع ابن خلدون وَضْعَ النحو إلى تغيُّر الملكة اللغوية بعد خروج العرب من أرضهم، ومخالطتهم الأعاجم، ففسدت بذلك اللغة، وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسًا، ويطول بها، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، وهذا ما حدا بهم إلى المسارعة لوضع القواعد الكلية للكلام العربي، انظر بيان ذلك في: **المقدمة** (بيروت: دار القلم، ط1، 1978)، ص546.

[2] انظر: كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: عبد الحليم النجار (القاهرة: دار المعارف، ط4، د.ت)، ج2: ص123–124.

[3] انظر: ابن الجزري، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد معوض، أحمد عبد الموجود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994)، ج3: ص292؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، طُبع باعتناء: فزنبيرك (بيروت: دار صادر، 1972)، ج3: ص62.

© إيسيسكو ICESCO 2024

فبنزول القرآن الكريم على النبي ﷺ، أصبح لدى العرب كتابٌ يقرؤونه، ويتدارسونه، ويستنبطون منه الأحكام، وكانوا أمام أمورٍ لا بُدَّ لهم من مواجهتها، فهم مُطالَبون بقراءة القرآن الكريم وتلاوته على النحو السليم، وفَهْمِ ما يتلونه لاستنباط الأحكام من النص، وكان ذلك يتطلَّب معارفَ لغويةً تتجاوز ما اعتادوه أحيانًا في لهجاتهم القبلية، وزادَ الأمر إلحاحًا دخولُ أقوامٍ من غير العرب يحتاجون إلى تعلُّم العربية لفهم القرآن الكريم وتلاوته،[1] وكان القائمون على أمْرِ المسلمين بدءًا بالنبي الكريم ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم من الداعين إلى التوجُّه إلى دراسة اللغة العربية، والاهتمام بصوابها، والبُعد عن اللحن في الكلام، وهذا كلُّه كان مدعاةً إلى سلوك طريق العلم لفَهْمِ النَّصِّ القرآني وحُسْنِ تلاوته.

يُضاف إلى ذلك أمران؛ أولهما أن القرآن الكريم ألحَّ في آياته المباركةِ على أن القرآن نَزَلَ بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ، كما في قوله تعالى: ((وهَذا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِيْنٌ)) [النحل: 103]، وهذا ما دَفَعَ الصحابة من أرباب العِلْمِ إلى التوجُّه نحو اللغة العربية درسًا وتقعيدًا، امتثالاً لِما وَرَدَ في النَّصِّ القرآني الكريم، وهذا الفهمُ لِما جاء في القرآن الكريم يعني أن هؤلاء العلماء كانوا على وَعْيٍ أن عليهم دراسةَ النَّصِّ من تركيبه اللغوي العربي، وقد أدَّى ذلك إلى جَعْلِ اللغة الفصحى المشتركة موضوعًا للدَّرس، وتسمية ما عدا ذلك "لُغَاتٍ" (لَهَجَاتٍ)، وإن كانت من كلام العرب، وهي حجَّة أيضًا،[2] والأمر الثاني أن القرآن الكريم كان واضحًا في إبراز العِلْم وإعلاء مكانته وتفضيل العلماء والتنويه بأهميَّتهم، قال تعالى: ((يَرْفَعِ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا مِنْكُم والَّذِيْنَ أُوْتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ)) [المجادلة: 11]، فكان ذلك مُحرِّضًا عظيمًا لنشوء فئةٍ من الدارسين وطبقة من أهْلِ العِلْمِ يُقيمون حلقات العلم ومَجالِسَه.

واشتُهرت في هذه المرحلة الزمنية مَجالِس التعليم، ولعلَّ أشهرها مَجلِسُ عبد الله بن عباس الذي اشتُهر بالتفسير، وكان المسلمون في عَهْدِهِ يرجعون إليه لتفسير القرآن الكريم، لعِلْمِهِ الواسع بالتأويل، فهو بَحْرُ التفسير، وحَبْرُ الأُمَّة الذي لم يكن على وَجْهِ الأرض في زمانه

[1] انظر: الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ص22.

[2] انظر: المصدر السابق، ص39.

© إيسيسكو ICESCO 2024

أعْلَمُ منه، وكان مَجلِسُه جامعًا كُلَّ خَيْرٍ، للحلال والحرام، وتفسير القرآن، والعربية والشعر، والطعام، وفي هذا المجلِس كانت تُثارُ أسئلة، ويُجيب عنها ابن عباس، وقد رُوِيَ عنه قولُه: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب".[1]

أما أبو الأسود الدؤلي فقد أخذ القراءة عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ويُقال إنه أخذ النحو أيضًا،[2] ولما كان كذلك فمن الطبيعي أن يكون بين الرجلين حوارٌ ومسائلُ تتعلَّق باللغة والإعراب،[3] وهو الذي يُنسب إليه نَقْطُ المصحَف،[4] ثم جاءت بعد ذلك مرحلة كان فيها أبو الأسود مُعلِّمًا،[5] وفيها اختلف إليه الناس من المقرئين يأخذون عنه ما أصَّله من الأُصول التي استنتجها من عَمَلِهِ الدقيق في نَقْطِ المصحَف والتدقيق في إعرابه، وعلاقات تراكيبه، ومدلولاتها، ولا بُدَّ من أن يقوم في مَجلِسه كثيرٌ من المسائل والتساؤلات عن ظواهر لغوية وإعرابية تتعلَّق بالنَّصِّ القرآني وكلام العرب.[6]

ولم تنشأ قضية مَجالِس التعليم في المجتمع الإسلامي الجديد من فراغ، لأن العرب قَبْلَ الإسلام لم يكونوا معزولين في صحرائهم، خالين من أيّ بيئة حضارية لها مُتطلَّباتها التعليمية من أجل خدمة هذه البيئة المنفتِحة على الجوار في التجارة وغيرها، والعودةُ إلى تاريخ المنطقة تُؤكِّد هذا، فقد أحاطت بجزيرة العرب أُممٌ عدةٌ؛ فارسيَّةٌ، ورومانيَّةٌ، وسريانيَّةٌ، وآشوريَّةٌ، وغيرُها من الأُمم التي كان لديها كثيرٌ من مَظاهِر الحضارة الإنسانية، ومنها دُوْرُ التعليم، ومن البَدَهي أن تُؤثِّر هذه البيئة الثقافية في عَرَبِ الجزيرة بفِعْلِ التلاقي والاحتكاك بينهم وبين مَنْ يُجاوِرهم من الأُمم، ويُؤكِّد ذلك أن "حياة العرب لم تكن مُقتَصرة على الشَّكل العصبي الضَّيِّق

---

[1] ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، نشرة برجستراسر (القاهرة: د.ن، ط1، 1935)، ج1: ص386-387.

[2] انظر: القفطي، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط4، 1950)، ج1: ص15.

[3] انظر: الحلواني، **المفصل في تاريخ النحو قبل سيبويه**، ص101.

[4] انظر: ابن النديم، **الفهرست**، تحقيق: رضا – تجدد (طهران: د.ن، 1970)، ص45-46.

[5] انظر: ابن الأنباري، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: إبراهيم السامرائي (بغداد: د.ن، ط2، 1970)، ص23.

[6] انظر: الحلواني، **المفصل في تاريخ النحو قبل سيبويه**، ص101.

© إيسيسكو ICESCO 2024

الذي تتحكَّم فيه الحَمِيَّةُ، وتَعْبَثُ به العصبيَّةُ والنَّزعات الفرديَّة، فقد أنشأ العربُ في قَلْبِ الجزيرة وأطرافها دُوَلاً وممالكَ – وإذا شِئتَ الدِّقةَ إماراتٍ – نَعْرِفُ منها في هذه الفترة التي سَبَقَتِ الإسلام ثلاث إمارات؛ إمارة المناذرة في العراق، والغساسنة في الشام، وكِنْدَةَ في دومة الجندل، وكان حَظُّ الإمارتين الأُوليين عاليًا من الشرف والرخاء والحضارة وقوَّة السلطان"،[1] ولا نُغْفِلُ في هذا الحضارةَ التي قامت في جنوبي الجزيرة العربية، وقد أقامتها دُوَلُ معين وسبأ وحمير ولحيان،[2] وهذا الوسط الثقافي أدى إلى أن يَعْرِفَ العرب في جزيرتهم الكتابةَ؛ وفاءً بمُتطلَّبات البيئة التجارية وثقافتها في ذلك العصر، ولعلَّ ذلك كان داعيًا إلى وجود "الكتاتيب" التي تُعلِّم الكتابة والقراءة والحساب،[3] ولا يمكن القول إن هذه العلوم كانت مُنتشِرة على نحوٍ واسعٍ عند البُداةِ، ولكنها كانت عند الحضر، وهناك دلائل على أن الأطفال كانوا يدرسون الهجاء والمطالعة وقواعد اللغة.[4]

وتعليم الكتابة لم يكن ضَرْبًا من الخيال، لأن الجزيرة العربية كانت تعرف الكتابة،[5] وكان ذلك قَبْلَ البعثة النبوية، وقد اتَّخذ النَّبيُّ كُتَّابًا للوحي، ومنهم الخلفاء الأربعة، وغيرهم،[6] قال ابن فارس: "فإنا لم نزعم أن العرب كُلَّها مدرًا ووبرًا، قد عرفوا الكتابةَ كُلَّها، والحروفَ أجمعَها، وما العربُ في قديم الزمان إلا كنحن اليوم، فما كُلُّ أحدٍ يعرف الكتابةَ والخطَّ والقراءةَ"،[7] وإذا كانت الكتابةُ معروفةً فإن مَسائِل من النحو العربي كانت معروفةً، والدليل على ذلك "كتابتهم المصحَف على الذي يُعَلِّلُه النحويون في ذوات الواو والياء والهمزة، والمدِّ

---

[1] يحيى الجبوري، **الجاهلية** (بغداد: دار المعارف، 1968)، ص48-49.

[2] انظر: المرجع السابق، ص91، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ((لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ في مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ واشْكُروا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ)) [سبأ: 15].

[3] انظر: عبد الله عبد الدائم، **التربية عبر التاريخ** (بيروت: دار العلم للملايين، ط5، 1984)، ص126؛ الحلواني، **المفصل في تاريخ النحو قبل سيبويه**، ص65 وما بعدها.

[4] انظر: عبد الدائم، **التربية عبر التاريخ**، ص136، 138.

[5] انظر: السيوطي، **المزهر**، ج2: ص349.

[6] انظر: المصدر السابق، ج1: ص346؛ عدنان زرزور، **القرآن ونصوصه** (دمشق: مطبعة ابن الوليد، 1980)، ص76.

[7] السيوطي، **المزهر**، ج2: ص346.

© إيسيسكو ICESCO 2024

والقصرِ، فكتبوا ذوات الواو بالألف، ولم يُصوِّروا الهمزة إذا كان ما قَبْلَها ساكنًا في مثل (الخَبْء)، و(الدِّفْء)، و(المَلْء)، فصار ذلك كُلُّه حُجَّةً، وحتى كَرِهَ مَنْ كَرِهَ من العلماء تَرْكَ اتِّباع المصحَف".[1]

ووجود الكتابة يستدعي مَسائِل يُثيرها المعلِّمون والمتعلِّمون تتعلَّق ببنية الكلمات وطرائق قراءتها، وعلاقة الكلمات بسياقاتها وتعالُقات بعضها ببعضٍ نحويًّا، فإذا أضفنا إلى ذلك أن العربَ كانوا يولون أهميةً لرواية الشعر وتمثُّل أولادهم معانيَه،[2] وانتباههم إلى ما يعتريه من خروج الشاعر على بعض قواعده، كإشارتهم إلى ظاهرة الإقواء التي لاحظوها لدى بعض الشعراء،[3] فإننا يمكن لنا أن نتصوَّر وجود كثير من المسائل التي يثيرها الناس في المجتمع وتتعلَّق بقضايا اللغة وصحَّة الكلام وانحرافاته.

وإذا ما عقدنا صلةً بين مرحلتي ما قبل الإسلام وما جرى من تغيُّرات بعده؛ فإنا واجدون أن مسألةً مشتركةً في مجال الثقافة رَبَطَتْ بين المرحلتين، وهي مسألة التعليم، أي إن اتِّجاه المسلمين إلى دراسة اللغة لم يكن طارئًا، فقد كان بدائيًّا غير مُنظَّم، وأما ما كان في المرحلة الإسلامية فقد تمَّ بتوجيهٍ من قادة المجتمع، واندفاعٍ من أهل العلم؛ ابتغاء مرضاة الله سبحانه.

مرحلة تلاميذ أبي الأسود

وَضَعَ أبو الأسود بعض أبواب النحو، فقد ذكر ابن سلام أنه وضع أبواب الفاعل والمفعول والإضافة،[4] وبدأت بعده مرحلة جديدة من الدَّرس قوامها تلك المسائل التي كانت تَعْرِضُ لأهل اللغة في مَجالِسهم، وتلك التي استظهروها من النَّظر في النَّصِّ القرآني الكريم، وأشعار العرب وكلامهم، وأعانهم على ذلك ما تحصَّل لديهم من معارف لغوية.

---

[1] السابق نفسه.

[2] انظر: الأصفهاني، **الأغاني** (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ت)، ج2: ص75.

[3] انظر: الأخفش، **كتاب القوافي**، تحقيق: عزة حسن (دمشق: وزارة الثقافة، 1970)، ص41.

[4] انظر: ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمد محمود شاكر (القاهرة: مطبعة المدني، 1978)، ج1: ص14.

© إيسيسكو ICESCO 2024

وفي هذه المرحلة يمكن أن نُميِّز اتجاهين في التعامل مع المسألة النحوية؛ أحدهما ذو منحًى تعليمي، والآخر ذو منحًى بحثي، وتجلَّى الاتجاه الأول في حلقات الدَّرس التي كان يقيمها هؤلاء العلماء، على حين كان الاتجاه الآخر يتَّخذ من جَمْعِ اللغة ودراسة كلام العرب وطرائق تعبيرهم؛ موضوعًا للدرس والتحليل واستنباط القواعد التي ينقلونها إلى مريدي التعلُّم من العرب وغيرهم، وقد تجمَّعت بين أيدي أهل النَّظر والعِلْمِ في المرحلة الإسلامية المبكِّرة كثيرٌ من التساؤلات والمسائل المثارة في موضوع النحو واللغة، وكانت هذه المسائل الأساس الذي بُنيت عليه منهجية الدَّرس النحوي، وبقيت مستمرة في ما بعد مرحلة التأسيس.

ويمكن القول إن نشأة الدَّرس النحوي كانت مرتبطةً بواقع المجتمع العربي، ومتطلَّباته العلمية والثقافية، ولم يكن الأمر واردًا من خارجه مقحمًا عليه، وذلك لأن تطوُّر الثقافة بنزول النَّصِّ القرآني فَرَضَ تطوُّرًا في أساليب تلقِّي اللغة، وكان لتوجُّه المجتمع إلى فهم النَّصِّ القرآني باعتماد أفراده على ما لديهم من ثقافة عميقة الجذور بلغة هذا النَّصِّ؛ الأثرُ الكبيرُ في وجود المسألة النحوية القائمة على تساؤلات أفراد المجتمع عن مقاصد النَّصِّ وتعالُقاته اللغوية، ولذلك نزعم أن نشأة الدَّرس اللغوي العربي كانت تلبية لحاجة المجتمع، وبُنيت وَفْقَ ظروفه وثقافته، وبدَفْعٍ من وجود النَّصِّ القرآني الكريم، وهذه النشأة لم تكن طارئة، فهي امتداد وتطوير لواقع ثقافي وتعليمي عرفته البيئة العربية قبل الإسلام.

دخلت المسألة النحوية بعد أبي الأسود الدؤلي مرحلة جديدة كانت بناءً على ما توصَّل إليه أبو الأسود وتلاميذه، وقد نهض بهذا بعض العلماء ممن تحوَّلت دراسة المسألة النحوية على أيديهم من دراسة الجزئيات التي شَغَلَتِ العلماء قبلهم، إلى البحث عن المعايير العامة التي يُقاس عليها الكلام العربي، وتطلَّب هذا بدء ما يمكن تسميَتُه "التأويل"، من أجل ردِّ ما يخرج عن الأصول المقرَّرة في أذهان هؤلاء العلماء من الكلام الذي ينطق به الأفراد إلى هذه الأُصول، وقد عبَّر أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ) عن طبيعة منهج هؤلاء العلماء في دراسة اللغة في هذا النَّصِّ، قال ابن نوفل: "سمعتُ أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عمَّا وَضَعْتَ مِمَّا سمَّيت (عربيَّةً)، أيدخلُ فيه كلام العرب كلُّه؟ فقال: لا،

© إيسيسكو ICESCO 2024

فقلتُ: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب، وهم حجّة؟ فقال: أحْمِلُ على الأكثر، وأُسمّي ما خالفني (لغاتٍ)".[1]

وكان من أعلام هذه المرحلة المبرزين الذين أثروا في من وليهم من العلماء، عبد الله ابن أبي إسحاق مولى آل الحضرمي (ت117هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت154هـ)، قال عنهما ابن سلام الجُمحي: "وكان من بعدهم [تلاميذ أبي الأسود] عبدُ الله بن أبي إسحاق الحضرميُّ، وكان أوَّلَ مَنْ بَعَجَ النحو، ومدَّ القياسَ والعللَ، وكان معه أبو عمرو بن العلاء، وبقي بعده بقاء طويلاً، وكان ابن أبي إسحاق أشدَّ تجريدًا للقياس، وكان أبو عمروٍ أوسعَ علمًا بكلام العرب ولغاتها وغريبها".[2]

في هذا النَّصِّ مجموعة من الألفاظ والتراكيب التي تلفت الانتباه إليها، وتتطلَّب تفسيرًا لتتَّضحَ صورة ما يريد ابن سلام قوله، فقوله عن ابن أبي إسحاق: "كان أوَّلَ مَنْ بَعَجَ النحو"، يدلُّ على ريادةِ ابن إسحاق في توسيع النحو، وتوسيعه يعني وفق ما وَرَدَ من نصوص قليلة تبيّن عمل ابن أبي إسحاق توسيع مجال النحو ليشمل الصور الكلامية التي يسمعها، والواردة في القرآن الكريم، والشعر، وكلام العرب، ففي الشعر كانت له مواقف مع الفرزدق، فقد كان يُكثر الرَّدَّ عليه، حتى هجاه الفرزدق،[3] وفي القرآن الكريم كان إذا اختلفت العرب ينزِعُ إلى النصب، كما في قراءته هو وعيسى بن عمر الآية الكريمة: ((يا لَيْتَنا نُرَدُّ ولا نُكَذِّب بِآيَاتِ رَبِّنا ونَكُونَ مِنَ المؤمِنِيْنَ)) [الأنعام: 27]، وكان الحسن وأبو عمرو يرفعان.[4]

أما مسألة القياس فهي الأبرز في عمل ابن أبي إسحاق النحوي، وقد شاركه في هذا أبو عمرو بن العلاء، وقد مرَّ معنا قوله: "أحمل على الأكثر"، ويعني بذلك قياس ما يسمعه على ما كثُر في كلام العرب، وقول ابن سلام عن ابن أبي إسحاق إنه أوَّل "مَنْ مَدَّ القياس

[1] الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ص39.

[2] ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، ج1: ص14.

[3] انظر: المصدر السابق، ج1: ص17-18.

[4] انظر: المصدر السابق، ج1: ص17.

© إيسيسكو ICESCO 2024

والعلل"، يدلُّ على أن القياس كان موجودًا، قال ابن سلام عن أبي الأسود: "كانَ أَوَّلَ من أسَّسَ العربية، وفَتَحَ بابها، وأنهج سبيلها، ووَضَعَ قياسها؛ أبو الأسود الدؤلي"،[1] ولكن الحضرمي كان أشد تجريدًا للقياس،[2] ويوحي كلام ابن سلام عن هذين اللغويين؛ أن ابن أبي إسحاق كان يهتم بقياس النحو ومعاييره التي استظهرها من القرآن الكريم والشعر وكلام العرب، وهي القواعد التي يصدرون عنها في كلامهم، على حين كان أبو عمرو بن العلاء يميل إلى الأخذ بجزئيات كلام العرب، ولذلك كان الحضرمي يطعن على كلام العرب، على خلاف أبي عمرو، ويدلُّ هذا على وجود اتّجاهين في الدرس اللغوي آنذاك؛ اتّجاه يُخضع الكلام لمعايير بعينها مستنبطة من كلام العرب، واتّجاه يأخذ باستعمال اللغة.[3]

ومن الأمور التي تتَّصل بالقياس مدُّه القياسَ، أي افتراض مسائل ليست في الواقع اللغوي، ومعالجتها وفق المقاييس المستنبطة من الكلام المستَعمل في الواقع، وهي مسائل تعليمية كان المعلِّمون يدرِّبون تلاميذهم بها، وقد اتَّسعت بعد هذه المرحلة اتِّساعًا كبيرًا، ومن هذه المسائل ما جاء في كتاب سيبويه نقلاً عن الحضرمي: "فإِنْ سَمَّيْتَ المؤَنَّثَ بعمروٍ أو زيدٍ، لم يَجُزِ الصَّرفُ، هذا قولُ ابن أبي إسحاق وأبي عمرو في ما حدَّثنا يونس، وهو القياس، لأنَّ المؤَنَّثَ أشَدُّ مُلاءَمةً للمؤَنَّث".[4]

وكان لاهتمام الحضرمي بالقياس وتحكيم المقاييس التي وَصَلَتْ إليه ممَّن سَبَقَهُ، وتلك التي استنبطها من القرآن الكريم وكلام العرب؛ الأثرُ الواضحُ في اتّجاهه إلى التأويل حين تواجهه مسألة لا تتفق والقياسَ في ذِهْنِهِ، وواضحٌ أن التأويل يأتي بعد اكتشاف الأقيسة والضوابط، لأنه جنوحٌ لإخضاع ظواهر اللغة التي تخرج على العرف والتَّقليد للاطِّراد والاستواء.[5]

---

[1] المصدر السابق، ج1: ص13.

[2] انظر: المصدر السابق، ج1: ص14.

[3] انظر: منى إلياس، **القياس في النحو مع تحقيق باب الشاذ في المسائل العسكريات لأبي علي الفارسي** (دمشق: دار الفكر، ط1، 1987)، ص13.

[4] سيبويه، **الكتاب**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1988)، ج2: ص242.

[5] انظر: الحلواني، **المفصل في تاريخ النحو قبل سيبويه**، ص148.

© إيسيسكو ICESCO 2024

ومن تأويلاته ما ذكره سيبويه في كتابه، قال: "ولو قُلتَ: إيَّاكَ الأسَدَ، وتريدُ: مِنَ الأسَدِ؛ لم يَجُزْ كما جاز في (أن)، إلا أنهم زعموا أن ابن أبي إسحاق أجاز هذا البيت في شعر:

إيَّاكَ إيَّاكَ المِـــــــــــراءَ فإنَّــــــــــهُ إلى الشَّـــرِّ دَعَّـــاءٌ وللشَّـــرِّ جَالِـــبُ

كأنَّه قالَ: إياك، ثم أضمرَ بعد (إياك) فعلاً آخر، فقال: اتَّقِ المراءَ".[1]

ونُقلَ عنه اهتمامه بما نسمِّيه "الأُصول"، وهي المعايير الكلية التي يُقاس عليها الكلام، وقد استُنبِطت هذه الأقيسة من القرآن الكريم وكلام العرب، من ذلك ما نَقَلَهُ أبو عبيدة في "مجاز القرآن"، حيث قال: "زَعَمَ يونس عن ابن أبي إسحاق، قال: أصْلُ الكلام بناؤه على (فَعَلَ)، ثم يُبنى آخِرُه على عَدَدِ مَنْ له الفعلُ من المؤَنَّث والمذَكَّر من الواحد والاثنين والجميع، كقولك: فَعَلْتُ، وفَعَلْنا، وفَعَلْنَ، وفَعَلا وفَعَلُوا، ويُزاد في أوَّله ما ليس من بنائه، فيزيدون الألف، كقولك: أعْطَيْتُ، وإنّما أصلُها: عَطَوْتُ، ثم يقولون: مُعْطِي، فيزيدون الميم بدلاً من الألف، وإنّما أصلُها: عاطي، ويزيدون في أوساط (فَعَلَ)؛ افتَعَلَ، وانْفَعَلَ، واسْتَفْعَلَ، ونحو هذا، والأصل (فَعَلَ)، وإنما أعادوا هذه الزوائد إلى الأصل، فمن ذلك في القرآن: ((وأرْسَلنا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ)) [الحجر: 22]، فأعادوه إلى الأصل، ومنه قولهم: طَوَّحتني الطَّوائحُ، وإنما هي: المطاوِحُ؛ لأنَّها المطَوِّحَةُ".[2]

وجاء بعد الحضرمي نحويٌّ مُبرزٌ هو عيسى بن عمر الثَّقفي (ت149هـ)، سمع من العرب،[3] حتى صار كلامه حجَّة يتناقله اللغويون، وهذا ما فَعَلَهُ الأصمعي في ما نَقَلَهُ ابن جنِّي في "المنصف"،[4] وكان ثقةً ثبتًا في ما يرويه، روى سيبويه عن يونس قوله عن عيسى بن عمر: "لم يكن ليروي إلا ما سَمِعَ"،[5] وكان يطعنُ على العرب، قال: "أساء النابغة في قوله:

---

[1] سيبويه، **الكتاب**، ج1: ص279.

[2] أبو عبيدة، **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فؤاد سزكين (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1954)، ج1: ص376-377.

[3] انظر: ابن دريد، **جمهرة اللغة** (طبعة مصورة عن الطبعة الهندية المنشورة عام 1926)، ج2: ص204-205.

[4] ابن جني، **المنصف في التصريف**، تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1، 1954)، ج1: ص256.

[5] سيبويه، **الكتاب**، ج3: ص16.

© إيسيسكو ICESCO 2024

فَبِـــتُّ كَـــأَنِّي سَـــاوَرَتْنِي ضَـــئِيلَةٌ مِـنَ الـرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَـا السُّـمُّ نَاقِـعُ

ويقولُ: وَجْهُهُ أن يكون: السُّمُّ ناقِعًا"،[1] وقد ذكر سيبويه من ذلك مسألة افتراضية في صَرْفِ الاسم، فقال: "زَعَمَ يونس أنك إذا سمَّيتَ رجلاً بـ(ضَارِبْ)، من قولك: ضَارِبْ، وأنت تأْمُرُ، فهو مصروف، وكذلك إن سمَّيتَه: ضَارَبَ، وكذلك: ضَرَبَ، وهو قولُ أبي عمرو والخليل... أما عيسى فكان لا يصرف ذلك، وهو خلاف قَوْلِ العرب".[2]

ولم يكن يَطْعَنُ على العرب فحسب، وإنما كان يخالفُ النحويين أجمعين لما قرأتْ به القُرَّاء في بعض آيات القرآن الكريم، فكان يقرأ: ((هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ)) [هود: 78]، "وأنكرَها أبو عمرو بن العلاء عليه"،[3] وكانت له تأويلاته الخاصة لبعض القراءات التي قرأ بها، فقد قرأ مع أبي عمرو بن العلاء: ((يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ والطَّيْرَ)) [سبأ: 10]، ولكنه اختَلَف معه في التأويل؛ "كان عيسى يقول: هو على النِّداء، كما تقول: يا زيدُ والحارِثَ، لمّا لم يمكنه: ويا الحارِثَ، وقال أبو عمرو: لو كان على النِّداء لكان رفعًا، ولكنها على إضْمار: وسَخَّرْنا الطَّيْرَ، لقوله على إثْرِ هذا: ((ولِسُلَيْمانَ الرِّيحُ)) [سبأ: 17]".[4]

ومما يجعله ذا شأنٍ في تاريخ المسألة النحوية أنه صَنَّفَ كتابين في النحو، هما "الجامع" و"الإكمال"،[5] وبذلك يكون النحو قد انتقل إلى طَوْرٍ جديد هو طَوْرُ تدوين المسائل النحوية، ولا رَيْبَ في أن مواقف هذا النحوي المخالفةِ للسماع والقراءات قد فَتَحَ بابًا واسعًا في النحو العربي، وهو باب الخلاف في التوجيه النحوي والتأويل، وبابًا آخر يتعلَّق بالقراءات القرآنية ومدى حجيَّتها، وهذا ما يمكن تلمُّسُه لدى النحاة اللاحقين أمثال المبرد.[6]

---

[1] الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ص41.

[2] سيبويه، **الكتاب**، ج3: ص206.

[3] الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ص41.

[4] السابق نفسه.

[5] انظر: السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964)، ج2: ص237-238.

[6] انظر: المبرد، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة (بيروت: عالم الكتب، د.ت)، ج1: ص119.

© إيسيسكو ICESCO 2024

اكتمال المسألة النحوية

يبرز في هذه المرحلة عالمان كان لهما أكبر الأثر في الدراسات اللغوية بعامة، والدراسات النحوية بخاصة، وهما الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)، وتلميذه سيبويه (ت180هـ).

ونعني هنا باكتمال المسألة النحوية أنها أصبحت قضية نظرية تامَّة الأركان، فهي مسألةٌ بمعنى السؤال، وكذلك تُستخرج من الأدلة والبراهين، فهي نتيجة، وكذا تحوَّلت إلى أُصول عامة، وهي قواعد تنطبق على جزئيات موضوعها مُدعَّمةً بالحجج، وكُلُّ ذلك لا يُلغي الخلافات بين النحاة، سواءٌ أكان ذلك في مسائل الأُصول، أم في مسائل الفروع.

يُعدُّ الكتاب الذي عُرِف باسم "كتاب سيبويه" المرجع الأكثر وثاقةً في دراسة النحو العربي، ولا رَيْبَ في أنه كان المصدر الكبير للدراسات اللغوية التي أعقبَتْه، وليس لدارس هذا الكتاب أن يغفل عن الأُصول التي صَدَرَ عنها، وهي التي تعود إلى النحاة الأوائل الذين أرسَوا دعائم قواعد العربيَّة، ولحبُوا طريقها، وبيَّنوا قياسها ومنهجها، وليس لنا أن نُغفل أثَرَ العقل المبدع الذي كان وراء هذا الكتاب، وهو عَقْلُ الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي كان له الفضل في صُنْعِ هذا الكتاب بما قدَّمه لسيبويه وغيره من عِلْمٍ وأفكار استطاع سيبويه أن ينسجها في كتابه، ويقدِّمها للناس.

والناظر في "الكتاب" بعُمْقٍ لا بُدَّ من أن تتراءى له صورة الخليل وراء الأفكار التي احتواها، والمنهجية التي اتُّبِعت في معالجة مسائله، ويدرك هذا الناظر أن منهجية الخليل في دراسة علوم اللغة ماثلة في هذا الكتاب، وتقوده هذه المنهجية إلى ما فَعَلَهُ الخليل في كتاب "العين" والعروض الشعري، فقد كان ينظر إلى علوم اللغة نظرةً كليةً يبحث فيها عن القوانين الجامعة للعلم الذي يدرسه، وهكذا كان عَمَلُهُ في المعجم الذي أنشأ فيه منهجًا يبحث عن الأُصول التي ترجع إليها جذور اللغة، بالنظر في تقلُّبات الجذر، وكأنه يُحَكِّم معرفَتَه بالحساب ليستظهر ما يُستعمل من تقلُّبات الجذر اللغوي، وما هو مهملٌ منها، وبذا كان يَصْدُرُ عن كلية واضحة هي "الوضع والاستعمال"، فيحاول اكتشاف ما وَضَعَهُ العربي من تقلُّبات الجذر وما استعمله منها، ولا رَيْبَ في أن استعمال الطريقة الصوتية في ترتيب مُفرَدات اللغة؛ كان ذا شأنٍ، لأنه بها يستنبط منهجًا لغويًّا لدراسة اللغة.

© إيسيسكو ICESCO 2024

ولا يبتعد دَرْسُهُ العروضَ الشعريَّ عن هذه الرؤية الكلية التي أقام دَرْسَ اللغة عليها، فاكتشافُه الدوائرَ العروضيةَ يصدر عن الرؤية ذاتها لعلوم اللغة، فهو يجمع الجزئيات ليصل بها إلى الكليات، لذا نرى أنه جَمَعَ في كُلِّ دائرة مجموعةً من أبحر الشعر العربي التي ترجع إلى أصلٍ واحد، وكُلُّ هذه الأبحر تبتدئ بجزئيات صوتية تصنع هذا البحر، وهذه الجزئيات الصوتية تنشأ من جزئيات صوتية أصغر منها، فنرى لكُلِّ بَحْرٍ تفعيلاته، ولكُلِّ تفعيلة جزئيات أصغر منها هي الفواصل والأسباب والأوتاد.

وكتاب سيبويه لا يخرج عن هذا التصوُّر الذي ارتآه الخليل، فمن الواضح أن فكرة تجميع الجزئيات للوصول إلى الكليات الناظمة لهذه الجزئيات؛ تُطالِعنا في ثنايا "الكتاب"، ولعلَّ أبرز ما تظهر فيه المنهجية رسالته، أي مُقدِّمته، وتلك القواعد الكلية التي نَثَرَها سيبويه في كتابه، وجَعَلَها مُرتكَزات كالقوانين التي لا يخرجُ مُتكلِّم اللغة عليها، ويُضاف إلى ذلك ما وَضَعَهُ من مسائل في مُفْتَتَحِ كُلِّ بابٍ من أبواب "الكتاب"، وهي أمثلة مَصوغةٌ توافق الصورة الذهنية القياسية للكلام العربي، تلك الصورة التي استظهرها النحوي من استقراء كلام العرب.

الأُصول في رسالة "الكتاب"

اعتنى الخليل وتلميذه سيبويه بوَضْعِ تصوُّرٍ كلِّيٍّ لبنية اللغة العربية في رسالة "الكتاب"، وهذا التصوُّر أقربُ إلى صورة البنية العامة للغة العربية كما يصدر عنها مُتكلِّم اللغة العربية، وقد قامت هذه الرسالة على تحليل البنيات الأساس للتركيب العربي، من أجل الوصول إلى قواعد لا يتجاوزها مُتكلِّم اللغة.

ولا رَيْبَ في أن وَضْعَ أُصول للمسائل النحوية، وبناء هذه المسائل عليها؛ لم يكن عملاً خاصًّا بالنحو وَحْدَهُ، فهذه المنهجية كانت جزءًا من الثقافة التي سادت في علوم اللغة والدين كما أشرنا سابقًا، لذا كان حديثنا عن نشأة المسألة النحوية لا يمكن فَصْلُهُ منهجيًّا عن علوم الدين في اعتماد وَضْعِ الأُصول، ثم بناء مسائل التفريع عليها، ومن ثَمَّ افتراض المسائل لتدريب طلبة العِلْمِ عليها.[1]

[1] انظر: أحمد أمين، **ظهر الإسلام** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط10، 1965)، ج2: ص53.

© إيسيسكو ICESCO 2024

وقد ساعَدَ في تطوُّر المسألة النحوية ما لَحِظَهُ النحويون من عَمَلِ الفقهاء في مسائل الفقه التي اتَّجه فيها الفقهاء إلى استنباط الأُصول والتفريع عليها، والذي يعنينا في مسائل الفقه اتجاه الرأي والقياس الذي كان في عَصْرِ الرسول ﷺ، إذ دعا صحابته إلى الاجتهاد وإبداء الرأي في المسائل التي تَعْرِضُ للمسلمين،[1] وتابع الصحابة هذه الطريق التي لَحَبَها الرسول الكريم، فوضعوا لأنفسهم أُصولاً يرجعون إليها هي القرآن الكريم، والسُّنَّة الشريفة، والاجتهاد بما فيه من إجماع وقياس.[2]

وأهمُّ الأصول التي اعتمدها الخليل وسيبويه، هي:

(أ) **بنية الجملة العربية:** بدأ "الكتاب" ببابٍ عَنْوَنَهُ سيبويه "هذا باب علمِ ما الكَلِمُ من العربيَّة"، وتحدَّث فيه عن الكَلِمِ التي يتألَّف منها التركيب العربي، "فالكَلِمُ اسمٌ، وفعلٌ، وحرفٌ جاء لمعنًى ليس باسمٍ ولا فعلٍ"، ثم أعطى أمثلةً للاسم، "فالاسم رجلٌ وفرسٌ وجدارٌ"، وبيَّن أن للفعل أصولاً هي المصادر، وسمَّاها "أحداث الأسماء"، ومثالها "الحمدُ، والضَّربُ، والقتلُ"، ورَبَطَ الفعل بالزمن، فالأفعال "بُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائنٌ لم ينقطع"، فهي تدلُّ على الماضي والحاضر والمستقبل، أما الأحرف التي ليست باسمٍ ولا فعلٍ فهي أحرف المعاني، ومثالها (ثم)، و(سوف)، ولام الإضافة.[3]

ومن البيِّن أن المقصود بهذه التقسيمات الكلمات التي تُبنى منها الجملة العربية، فهي وإن كانت دالَّة بذاتها؛ فإن الجملة تتألَّف منها لتعبِّر عن معانٍ مقصودة بالتنبُّه إلى دلالات الكلمات التي تقوم عليها بنيتها الداخلية.

(ب) **الإعراب والعامل:** جاء البحث في الإعراب في رسالة "الكتاب" ليكشف مجموعة من الأُصول التي يقوم عليها بناء اللغة العربية، وأوَّل هذه الأُصول أنها لغةٌ مُعرَبةٌ، وتَضِحُ أهمية البحث في هذا الأصل بما بيَّنه الزجاجي في "الإيضاح"، حيث ذَكَرَ في "باب القول في

[1] انظر: محمد الزحيلي، **أصول الفقه الإسلامي** (دمشق: مطبوعات جامعة دمشق، 1976)، ص34-35.

[2] انظر: أحمد أمين، **فجر الإسلام** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط10، 1965)، ص234-235.

[3] انظر: سيبويه، **الكتاب**، ج1: ص12.

© إيسيسكو ICESCO 2024

الإعراب والكلام؛ أيُّهما أسبق؟"؛ أن الكلام يُفهم معناه عاريًا من الإعراب كما يُفهم مُعرَبًا، فالاسم من مثل (زيد) و(محمد) لا يزول عنه معنى الاسمية بالإعراب ومن دونه، وكذلك الفعل المضارع من مثل (يقوم) و(يذهب)، "وإنما يدخل الإعراب لِمعانٍ تعتور هذه الأشياء"،[1] وقَصَدَ بذلك معاني النحو كالفاعلية والمفعولية.

وقد جاء الحديث عن الإعراب في "الكتاب"، في الباب الثاني من الرسالة، وعنوانه "هذا بابُ مجاري أواخر الكَلِمِ من العربية"، وقد اشتمل هذا الباب على دراسة المعرَب والمبني، وعلامات البناء والإعراب، وجَعَلَ مجاري أواخر الكَلِمِ ثمانية مجارٍ؛ أربعة منها للبناء، ومثلها للإعراب، وعلَّق التغيُّر الإعرابي بظاهرة العامل، وفي الكلام ما يدلُّ على أن للَّفظ خواصَّ ذاتية وأخرى مُكتسَبة من السياق اللغوي، والمعوَّل في ذلك على تقسيم الألفاظ إلى مُعرَبةٍ ومبنيَّةٍ، فالمعرَبةُ متغيّرةُ الآخرِ بتأثير العوامل، وأثَرُ العامل فيها يزول بزوال العامل، والمبنية هي التي يُبنى حرف الإعراب فيها بناءً لا يتغيَّر بتأثير العوامل، وهذا التفسير المستنِد إلى العامل يبيّن العلاقة بين الألفاظ داخل التركيب اللغوي، ومدى تأثُّر بعضِها بتعالُقات هذا التركيب، واحتفاظ بعضِها الآخر بصفاتها الذاتية، وذلك من الوجهة اللفظية الصوتية الصُّورية لا المعنوية.

ومن الأُصول التي يكشفها البحث في الإعراب أهمية الاسم في البناء اللغوي العربي، فكأن هذا الاسم تلتقي عنده سائر أنواع الكلم، وتدور في فَلَكِهِ قُربًا منه أو بُعدًا عنه، وابتعادها عنه يصل بها إلى التحجُّر والبناء كالأحرف التي ليست أسماء ولا أفعالاً، لذا يُبنى الفعل الماضي على الفتح، ولم يُبْنَ على السكون لأن فيه بَعْضَ ما في المضارع، فتوصف به النكرة، ويقع في موضع (ضارب)، فتقول: هذا رجلٌ ضَرَبَنا، كما تقول: هذا رجلٌ ضاربٌ، والفعل الماضي يقع موقع الفعل المضارع في الشرط، فاقترب بذلك من الاسم بطريق غير مباشرة من خلال مشابهته المضارعَ المشابهَ الاسمَ، أما فعل الأمر فله الوقف، وهو عَدَمُ الحركة، لأنه ابتعد عن الاسم والفعل المضارع، فلا يُوصف به.[2]

[1] الزجاجي، **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق: مازن المبارك (القاهرة، دار العروبة، ط1، 1959)، ص67.

[2] انظر: سيبويه، **الكتاب**، ج1: ص15-16.

© إيسيسكو ICESCO 2024

وللاسم درجاتٌ في الاسمية، فمنها المتمكِّن، ومنها غير المتمكِّن، لذا اختصَّت الأسماء المتمكِّنة بحروف الإعراب التي تختصُّ بتسمية خاصة للحركات، فلها الرَّفع والنَّصب والجزم، وتُشارِك الأفعالُ المضارعة أسماءَ الفاعلين، ففي أوائلها الزوائد الأربع (الهمزة، والتاء، والياء، والنون)، وفيها حروف الإعراب، وتسمية الحركات، وإن كانت لا تصل إلى أن تكون أسماء، لأنها لا تقع في مواضع الأسماء، أما مضارعتها الفاعل فلأنها تُشارِكه في المعنى.[1]

(ج) تصنيف الكلام من حيث الثقل: من الأُصول التي اشتملت عليها رسالة "الكتاب"، فالأفعال أثقل من الأسماء، فلحقها الجزم، ولم يلحقها التنوين، لذا كانت الأسماء هي الأُولى، وهي أشدُّ تمكُّنًا، وتستغني عن الأفعال، فتُصاغ منها جملة كاملة، من مثل: اللهُ إلهُنا، أما الفعل فلا يستغني عن الاسم، لأنه لا يكون كلامًا من غير اسمٍ معه، ويثقُل الاسم حين يشابه الفعل في البناء، فيُعامل معاملة الكلام الثقيل، وذلك حين يأتي على وزن الفعل، من مثل (أسود) و(أحمر)، فيُمنع من التنوين،[2] ويتوسّع الكتاب بعد ذلك في مسألة الثّقل والخفّة، ويحتاج البحث في ما ذُكر إلى بحثٍ خاصٍّ.

(د) بنية الجملة القائمة على الإسناد: يشير سيبويه في هذا الباب إلى مسألة مهمة؛ أن الاسم أوَّل أحواله الابتداء، "ثم يدخل الناصب والرافع – سوى الابتداء – والجارُّ على المبتدأ، ألا ترى أن ما كان مبتدأ قد تدخل عليه هذه الأشياء حتى يكون غير مبتدأ، ولا تصل إلى الابتداء ما دام مع ما ذكرت لك إلا أن تدعه... فالمبتدأ أوَّل جزءٍ، كما كان الواحد أوَّل العدد، والنكرة قبل المعرفة"،[3] فكأن سيبويه في هذا الباب يُقرِّر أوليَّة الجملة الاسمية، وأنها أساس التركيب اللغوي، وهذا يُعزِّز فكرة الاهتمام بالاسم في "الكتاب"، ويُسوِّغ ابتداء الفصول اللاحقة للرسالة بباب الفاعل الذي جَعَلَهُ مُرتكَز الجملة الفعلية.[4]

---

[1] انظر: المصدر السابق، ج1: ص13-14.

[2] انظر: المصدر السابق، ج1: ص20-21.

[3] المصدر السابق، ج1: ص24-25.

[4] ذكر ابن جني تفسير أبي علي الفارسي لمسألة أولية الكلم بعضها على بعضٍ، وبيَّن أن لهذه الأولية صلة بتمكُّن الكلمة في النفس، ولا علاقة لها بالسبق في الزمن، انظر: **الخصائص**، ج2: ص30، وأقول: قد يوحي كلام سيبويه بغير ذلك.

© إيسيسكو ICESCO 2024

ومما يُلتَفت إليه في هذه الرسالة أن سيبويه بدأ أبوابها بمصطلح "العربية"، وهو المصطلح الذي كان يستعمله أهل اللغة الذين سبقوه، وكأنه عَبَّرَ به عن البنية العامة التي يختزنها مُتكلِّم اللغة العربية، وهي ما يمكن التعبير عنه بمصطلح "التفكير باللغة"، لا وَصْفَ بنية اللغة من خارجها فقط، وهذا ما يجعل فرقًا بين مصطلح "العربية" ومصطلح "الكلام" الذي يرد في الأبواب التي وليت الرسالة، فكأن الكلام قائم على استخدام اللغة وفق حاجة المتكلم ومقاصده، بناءً على الأُصول المقررة في رسالة "الكتاب"، وهي الأُصول التي تُحدِّد بنية اللغة وطبيعة التفكير باللغة، وهذا ما جَعَلَ ابن جني يبتدئ كتابه "الخصائص" بالتفريق بين اللغة والكلام، وبنى الكتاب على ما أفاده من سيبويه في ما قرَّره من مقولة التفكير باللغة.

منهجية "الكتاب" في معالجة المسألة النحوية

بعد الأُصول التي تقرَّرت في رسالة "الكتاب"، يمكن لنا أن ننظر في منهجية "الكتاب" في معالجة المسألة النحوية، فقد أصبحت هذه المسألة صورة يُقاس عليها الكلام، ويُستشهد بها على صحَّته أو خطئه، وصارت نمطًا لغويًّا يحتذيه المتكلم، أو منوالاً يصوغ وَفْقَهُ الكلام حين يريد التعبير عن معنًى ما من المعاني، فتحوَّلت المسألة بذلك إلى أنموذج أسلوبي للتعبير عن المعاني، وفي ما ذَكَرَهُ سيبويه في بعض أبواب "الكتاب" ما يدلُّ على ذلك.

جاء في باب الفاعل الذي يتعدَّاه فِعْلُهُ إلى مفعول: "وذلك قولك: ضَرَبَ عبدُ الله زيدًا، فـ(عبد الله) ارتفع ههنا كما ارتفع في (ذهب)... فإن قدَّمت المفعول وأخَّرت الفاعل؛ جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضَرَبَ زيدًا عبدُ الله"،[1] فقد بدأ هذا الباب بما يمكن أن نسميه "مسألة أُصولية"، ثم أتبعها بالتفريع، ليخلص بعد ذلك إلى قاعدة عامة يُبنى عليها الكلام، قال: "كأنّهم إنما يُقدِّمون الذي بيانه أهمُّ لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يُهمَّانهم ويعنيانهم".[2]

[1] سيبويه، **الكتاب**، ج1: ص24.

[2] السابق نفسه.

© إيسيسكو ICESCO 2024

ومِثْلُ هذه القواعد الأُصولية تتكرَّر في ثنايا "الكتاب"، وكذلك فإن أمثال المسألة التي ابتدأ بها الباب تتكرَّر أيضًا في أبواب كثيرة.

وقد اعتمد سيبويه عدة طرائق في معالجة المسائل التي أوردها في "الكتاب"، وأهمُّ هذه الطرائق:

(أ) التأويل: كما في المسألة المستنبطة من قول جرير:

يَا صَـــاحِبَيَّ دَنَا الـــرَّوَاحُ فَسِـــيْرَا لا كَالعَشِـــيَّةِ زَائِـــرًا ومَـــزُوْرَا

"فلا يكون إلا نصبًا، من قِبَلِ أن العشيَّة ليست بالزائر، وإنما أراد: لا أرى كالعشيَّة زائرًا، كما تقول: ما رأيتُ كاليوم رجلاً، فقولك: كاليوم، كقولك: في اليوم، لأن الكاف ليست باسم، وفيه معنى التعجُّب".[1]

فسيبويه يقصر الاحتمالات الممكنة في الاسم (زائرًا) على النصب بدءًا، ثمَّ ينتقل إلى تأويل النصب مُستندًا إلى فَهْمِهِ ما أراده الشاعر الذي أراد: لا أرى كالعشيَّة زائرًا، على أن الكاف ليست اسمًا، وقاس ما وَرَدَ في الشاهد على مسألة من الكلام العادي، ومن الملحوظ أن تأويله قد استند إلى المعنى الذي يُفهم من الكلام، فلا يُحمل الكلام هنا على التشبيه، وإنما يُحمل على التعجُّب.

(ب) السماع: ما وَرَدَ في القرآن الكريم، أو قالته العرب من شعرٍ أو نثرٍ، لذا كان سيبويه يتَّكئ في تفسير المسائل وتعليلها على شواهد من القرآن أو كلام العرب.[2]

(ج) القياس والتعليل: استخدم سيبويه القياس على نحوٍ واسع، فقاس الأشباه والنظائر بعضها على بعضٍ، وعلَّل ورود مسائل عدة على وجهٍ من دون آخر، "وعِلَلُ سيبويه في الكتاب تقتفي أثر الخليل من حيث عنايتُها بالمعنى، واهتمامُها بقياس الشبيه بشبهِهِ، وحملُ النظير على نظيره، واعتمادُها ذوقَ العرب في الخفَّة، وفراره من القبح والثقل"،[3] من ذلك قوله: "وزعموا أن بعض العرب يقول: شهرٌ ثرى، وشهرٌ ترى، وشهر مرعى، يريد: ترى فيه، وقال:

---

[1] المصدر السابق، ج2: ص293.

[2] انظر: المصدر السابق، ج1: ص172، 191.

[3] مازن المبارك، **النحو العربي: العلة النحوية نشأتها وتطورها** (دمشق: المكتبة الحديثة، ط1، 1965)، ص63.

© إيسيسكو ICESCO 2024

ثَـــلاثٌ كُلُّهـــنَّ قُـــتِلْنَ عَمْـــدًا فَـــأَخْزَى اللهُ رَابِعَـــةً تَعُـــوْدُ

فهذا ضعيف، والوجه الأكثر النصب، وإنما شبَّهوه بقولهم: الذي رأيت فلان، حيث لم يذكروا الهاء، وهو في هذا أحسن، لأن (رأيت) تمام الاسم، به يتم، وليس بخبر ولا صفة، فكرهوا طوله حيث كان بمنزلة اسمٍ واحد، كما كرهوا طول (اشهيباب)، فقالوا: اشهباب، وهو في الوصف أمثلُ منه في الخبر".[1]

ومن الضروري الإشارة إلى أن سيبويه قد أضاف إلى أُصول المسائل بابًا سماه "باب ما يحتمل الشعر"، وأخلصه للكلام على ضرورة الشعر، مقرّرًا أنه "يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من صرفِ ما لا ينصرف، يُشبّهونه بما ينصرف من الأسماء، لأنها أسماء، كما أنها أسماء، وحذفُ ما لا يُحذَف يُشبّهونه بما قد حُذِفَ واستُعمل محذوفًا"،[2] وبذلك جَعَلَ للشعر أساليب خاصة، وأوقف المنازعة بين النحاة والشعراء في كثير من المسائل.

وفي الختام:

إن دراسة المسألة النحوية في نشأتها وتطوُّرها وما اتخذته من سُبُلٍ لدى المتأخرين من النحاة؛ يمكن لها أن تُفيدنا في تبيان نشأة النحو العربي وتطوُّره عَبْرَ العصور، واكتشاف طرائق النحاة في تحليل الصور الكلامية، وفَهْمِ بنية التفكير اللغوي العربي، ومعرفة طرائق التعبير عن المعاني في المواقف المختلفة.

[1] سيبويه، **الكتاب**، ج1: ص86-87.

[2] المصدر السابق، ج1: ص26.

© إيسيسكو ICESCO 2024

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أبو عبيدة، **مجاز القرآن**، تحقيق: فؤاد سزكين (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1954).

أحمد أمين، **ظهر الإسلام** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط10، 1965).

أحمد أمين، **فجر الإسلام** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط10، 1965).

الأخفش، **كتاب القوافي**، تحقيق: عزة حسن (دمشق: وزارة الثقافة، 1970).

الأصفهاني، **الأغاني** (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ت).

ابن الأنباري، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: إبراهيم السامرائي (بغداد: د.ن، ط2، 1970).

ابن الجزري، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد معوض، أحمد عبد الموجود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994).

ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، نشرة برجستراسر (القاهرة: د.ن، ط1، 1935).

ابن النديم، **الفهرست**، تحقيق: رضا – تجدد (طهران: د.ن، 1970).

ابن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط1، 1952).

ابن جني، **المنصف في التصريف**، تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط1، 1954).

ابن خلدون، **المقدمة** (بيروت: دار القلم، ط1، 1978).

ابن دريد، **جمهرة اللغة** (طبعة مصورة عن الطبعة الهندية المنشورة عام 1926).

ابن سلام، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمد محمود شاكر (القاهرة: مطبعة المدني، 1978).

ابن فارس، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: د.ن، 1969).

© إيسيسكو ICESCO 2024

ابن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، د.ت).

الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط7، 1998).

الحموي، **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)** (بيروت: دار صادر، د.ت).

الزبيدي، **تاج العروس**، تحقيق: أحمد عبد الستار فراج (الكويت: وزارة الإعلام، ط2، 1965).

الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1965).

الزجاجي، **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق: مازن المبارك (القاهرة، دار العروبة، ط1، 1959).

سيبويه، **الكتاب**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1988).

السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، محمد أبي الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط4، د.ت).

السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964).

الصفدي، **الوافي بالوفيات**، طُبع باعتناء: فزنبيرك (بيروت: دار صادر، 1972).

عبد الله عبد الدائم، **التربية عبر التاريخ** (بيروت: دار العلم للملايين، ط5، 1984).

عدنان زرزور، **القرآن ونصوصه** (دمشق: مطبعة ابن الوليد، 1980).

الفيروز آبادي، **القاموس المحيط** (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1952).

القفطي، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط4، 1950).

كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: عبد الحليم النجار (القاهرة: دار المعارف، ط4، د.ت).

الكفوي، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري (دمشق: وزارة الثقافة، ط2، د.ت).

© إيسيسكو ICESCO 2024

مازن المبارك، **النحو العربي: العلة النحوية نشأتها وتطورها** (دمشق: المكتبة الحديثة، ط1، 1965).

المبرد، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة (بيروت: عالم الكتب، د.ت).

محمد الزحيلي، **أصول الفقه الإسلامي** (دمشق: مطبوعات جامعة دمشق، 1976).

محمد خير الحلواني، **المفصَّل في تاريخ النحو قبل سيبويه** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1979).

منى إلياس، **القياس في النحو مع تحقيق باب الشاذ في "المسائل العسكريات" لأبي علي الفارسي** (دمشق: دار الفكر، ط1، 1987).

يحيى الجبوري، **الجاهلية** (بغداد: دار المعارف، 1968).

© إيسيسكو ICESCO 2024

References

Al-Qur'ān al-karīm.

Abdullāh Abduddā'im, *al-Tarbiyah 'abra al-Tārīkh* (Beirut: Dār al-'Ilm lil-Malāyīn, 5th Ed., 1984).

Abū 'Ubaydah, *Majāz al-Qur'ān*, Edited by Fuat Sezgin (Cairo: Maktabah al-Khānjī, 1954).

Adnān Za'rzūr, *Al-Qur'ān wa nuṣūṣuh* (Damascus: Maṭba'ah Ibn al-Walīd, 1980).

Aḥmad Amīn, *Fajr al-Islām* (Beirut: Dār al-kitāb al-'Arabī, 10th Ed., 1965).

Aḥmad Amīn, *Ẓuhr al-Islām* (Beirut: Dār al-kitāb al-'Arabī, 10th Ed., 1965).

Al-Akhfash, *Kitāb al-Qawāfī*, Edited by 'Azzah Ḥasan (Damascus: Ministry of Culture, 1970).

Al-Aṣfahānī, *al-'Aghānī* (Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah).

Al-Fayrūzabādī, *al-Qāmūs al-Muḥīṭ* (Cairo: Maṭba'ah 'Isá al-Bābī al-Ḥalabī, 1952).

Al-Ḥamawī, *Mu'jam al-'Udabā'* (Beirut: Dār Ṣādir).

Al-Jāḥiẓ, *al-Bayān wa al-Tabyīn*, Edited by Abdussalām Hārūn (Cairo: Maktabah al-Khānjī, 7th Ed., 1998).

Al-Kafawī, *al-Kulliyyāt*, Edited by Adnān Darwīsh (Damascus: Ministry of Culture, 2nd Ed.).

Al-Mubarrid, *al-Muqtaḍab*, Edited by Muḥammad Abdulkhāliq 'Uḍaymah (Beirut: 'Ālam al-Kutub).

Al-Qifṭī, *Inbāh al-Ruwāh 'alá Anbāh al-Nuḥāh*, Edited by Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm (Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah, 4th Ed., 1950).

Al-Ṣafadī, *al-Wāfī bil-Wafayāt* (Beirut: Dār Ṣādir, 1972).

Al-Suyūṭī, *al-Muzhir fī 'Ulūm al-Lughah wa Anwā'ihā*, Edited by Muḥammad Aḥmad Jādulmawlá, Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm,

ICESCO 2024 إيسيسكو ©

Alī Muḥammad al-Bajjāwī (Cairo: Dar Iḥyā' al-Kutub al-'Arabiyyah, 4th Ed.).

Al-Suyūṭī, *Bughyah al-Wu'āh fī Ṭabaqāt al-Lughawiyyīn wa al-Nuḥāh*, Edited by Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm (Cairo: Maṭba'ah 'Isá al-Bābī al-Ḥalabī, 1964).

Al-Zabīdī, *Ṭabaqāt al-Naḥwiyyīn wa al-Lughawiyyīn*, Edited by Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm (Cairo: Maktabah al-Khānjī, 1st Ed., 1965).

Al-Zabīdī, *Tāj al-'Arūs*, Edited by Aḥamad Abdussattār Farrāj (Kuwait: Ministry of Information, 2nd Ed., 1965).

Al-Zajjājī, *al-'Īḍāḥ fi 'Ilal al-Naḥw*, Edited by Māzin al-Mubārak (Cairo: Dār al-'Urūbah, 1st Ed., 1959).

Carl Brockelmann, *Tārīkh al-Adab al-'Arabī*, Translated by Abddulḥalīm al-Najjār (Cairo: Dār al-Ma'ārif, 4th Ed.).

Ibn al-Anbārī, *Nuzhah al-Alibbā' fī Ṭabaqāt al-'Udabā'*, Edited by Ibrāhīm al-Sāmirrā'ī (Baghdad: 2nd Ed., 1970).

Ibn al-Jazarī, *Ghāyah al-Nihāyah fī Ṭabaqāt al-Qurrā'*, Edited by Bergsträsser (Cairo: 1st Ed., 1935).

Ibn al-Jazrī, *'Usd al-Ghābah fī Ma'rifah al-Ṣaḥābah*, Edited by Alī Muḥammad Mu'awwaḍ, Aḥmad Abdulmawjūd (Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1st Ed., 1994).

Ibn al-Nadīm, al-Fihrist, Edited by Riḍā-Tajdud, (Tehran: 1970).

Ibn Durayd, *Jamharah al-Lughah* (The Indian Version, 1926).

Ibn Fāris, *Maqāyīs al-Lughah*, Edited by Abdussalām Hārūn (Cairo: 1969).

Ibn Jinnī, *al-Khaṣā'iṣ*, Edited by Muḥammad Alī al-Najjār (Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah, 1st Ed., 1952).

Ibn Jinnī, *al-Munṣif fi al-Taṣrīf*, Edited by Ibrāhīm Muṣṭafá, Abdullāh Amīn (Cairo: Maṭba'ah 'Isá al-Bābī al-Ḥalabī, 1st Ed., 1954).

Ibn Khaldūn, *al-Muqaddimah* (Beirut: Dār al-Qalam, 1st Ed., 1978).

ICESCO 2024 إيسيسكو ©

Ibn Manẓūr, *Lisān al-‘Arab* (Beirut: Dār Ṣādir, 3rd Ed.).

Ibn Sallām, *Ṭabaqāt Fuḥūl al-Shu‘arā’*, Edited by Muḥammad Maḥmūd Shākir (Cairo: Maṭba‘ah al-Madanī, 1978).

Māzin al-Mubārak, *al-Naḥw al-‘Arabī: al-‘Illah al-Naḥwiyyah Nash’atuha wa Taṭawwuruhā* (Damascus: Al-Maktabah al-Ḥadīthah, 1st Ed., 1965).

Muḥammad al-Zuḥaīlī, *’Uṣūl al-fiqh al-Islāmī* (Damascus: Damascus University Press, 1976).

Muḥammad Khayr al-Ḥilwānī, *al-Mufaṣṣal fī Tārīkh al-Naḥw qabla Sībawayh* (Beirut: Mu’assasat al-Risālah, 1st Ed., 1979).

Muná ’Ilyās, *al-Qiyās fi al-Naḥw ma‘ Taḥqīq Bāb al-Shāth fi “al-Masā’il al-‘askariyyat” li-Abī Alī al-Fārsī* (Damascus: Dār al-Fakr, 1st Ed., 1987).

Sībawayh, *al-Kitāb*, Edited by Abdussalām Hārūn (Cairo: Maktabah al-Khānjī, 3rd Ed., 1988).

Yaḥyá Jubūrī, *al-Jāhiliyyah* (Baghdad: Dār al-Ma‘ārif, 1968).

© إيسيسكو ICESCO 2024